المقدمة

بُنيت الحضارة الإسلامية على الثقافة، وثقافة المسلمين تتمحور حول دينهم. وهم بذلك أصحاب السبق في تاريخ البشرية بجعل الله تعالى مركزاً للكون والحياة والإنسان، وجعل ما سواه سبحانه وتعالى في المدار لهذا المركز.

وقد عاب الماديون على الحضارة الإسلامية هذا المنهج الحضاري الذي يجعل بموجبه الدين والدنيا في دائرة واحدة، وهم بذلك ينزعون إلى تجريد الحضارة الإسلامية من خصوصيتها التي قامت عليها وانتشرت بها وأثّرت في الأمم من خلالها.. وهو الأمر الذي يجب علينا، كمثقفين مسلمين، أن ندركه أولاً، أي ندرك أهدافه وهي بعمومها مضادة للإسلام الفاعل، وعلينا بعد ذلك أن نساهم في عودة تلك الخصوصية وتجديدها مع التأكيد على ضرورة اندماجها في النسق العالمي اقتصادياً وسياسياً.. وفي هذا الكتاب مفردات من الحضارة الإسلامية، تجد السياسي والديني وقد اندمجا بيسر ونجاح، وتجدهما وقد فعلا الفعل الأجود في إدارة أحوال البلاد والعباد، وحققا العدالة الاجتماعية ومقاصد الشريعة، إضافة إلى التعبد والعبادات، الجوهرية أيضاً في جوهر الحضارة الإسلامية... وقد يجد القارىء المطلع على الحضارة الأوروبية فرقاً شاسعاً بين الحضارتين من حيث مركزية الكون، فالأوروبيون يسخِّفون فكرة المسلمين بشمولية الكون، ويربطون بين هذا المبدأ الأساسي وأن الدين قد يتحول إلى مخدِّر للأمم ومُبْعد لها عن مصالحها الحياتية الأساسية، وهم بنهضتهم الحديثة، فصلوا تماماً بين الدين والسياسة، معارضين بذلك الحضارة الإسلامية التي بقي الحكم فيها جامعاً للأمرين بيُسرٍ واتزان، وهم أيضاً يحاولون جاهدين وبكل الوسائل، إثبات فشل جعل الله تعالى في مركز الكون، بل ويجعلون هذا المنهج الإسلامي طريقاً للإرهاب والعُلوية... إلاّ أن خصوصية الحضارة الإسلامية ثابتة لارتباطها بالقرآن الثابت وبالنهج النبوي الثابت أيضاً. ومع التسليم بالمجالات الواسعة للاجتهاد وإعمال الفكر في الإسلام، إلاّ أن الأساسيات والثوابت لا يمكن أن تتغير وإلاّ لتغيرت الحضارة ذاتها، وهو ما يوازي ثقافياً الهوية الحضارية للأمة...

«مفردات من الحضارة الإسلامية» يدمج الديني بالسياسي ناقلاً أميناً لصور حضارية إسلامية ولفرسان فاعلين ومؤمنين في نسقها المذكور...

الثقافة بالمفهوم الإسلامي هي الحياة، لأن الحياة بهذا الدين هي التعاليم والتصورات والخبرات الناشئة من القرآن الكريم ومن الثابت من سنّة الرسول الكريم محمد ﷺ، ومن أشكال التفاسير والاجتهادات التي أصبحت مع الزمن مفسّرة ومُشَكِّلة للحضارة الناشئة من ذلك الجوهر كله. وعلى أساس ضرورة الثقافة لرفد الحياة بالأفضل، لأن الزمن يتحرك، والوقوف إزاء التطورات يعني التخلف، والحضارة الإسلامية ترفض التخلف، وعلى أساس مركزية الله تعالى في الكون، يصبح الربط بين التراث الصحيح، أو المحقق على هذا الأساس، وبين الواقع من أساسيات الحضارة، ويصبح هذا الربط وظيفة من وظائف المثقفين المؤمنين بهويتهم الإسلامية، وهذا الكتاب يُحقق هذه الوظيفة بقدر مقبول، فهو قد اختار ما يؤكدها من الرجال ومن الأحداث والروايات والاجتهادات وأصول الفقه...

مهما تغيرت الظروف الحياتية في أي زمان ومكان، ومهما أصبح حال الأمة ـ بين الفقر والغنى أو القوة والضعف، تظل الثقافة ضرورة من ضروريات الحياة، لأنها الغذاء الوحيد للروح. وواجب التربية الصحيحة يتطلب بناء هذه الثقافة وتعليمها للأجيال، حتى تظل جذوتها متقدة متنامية... والله وحده هو الذي ينظر في القلوب ويقرر متى ينصر من نصره. وقد يعتقد البعض بأن هذا المفهوم المدرحي لا يتناسب مع العصر ومع التقنيات، ولكننا نؤكد أنه وحده الذي يحقق الحياة بالهوية الإسلامية، وعلينا أن نحافظ على هذه الهوية وأن نعمل على قوتها وتحسين أحوالها والثقافة هي الوسيلة...

ومع أن كتاب مفردات الحضارة الإسلامية ليس من صميم تخصصي، إلاّ أنني أتشرف بالعناية به تقرباً لوجه الله تعالى، وصدقة جارية أتحسبها عند الله يوم القيامة. وإذا كان من شيء يُذكر حول سلبيات الكتاب، مع التذكير بأن الكمال للّه وحده، فمنها الوقوف في وسط المسافة بين السرد والتعليم، وعدم العودة بالقارىء إلى المصادر المعتمدة في فقراته، وعدم وجود الهوامش المؤكِّدة على صحة المعلومة، وهي الأمور التي أرجو أن تُراعى في طبعات قادمة بإذن الله، والله من وراء القصد.

د. أحمد طحان